@ 109 @ لغيرهم فلما نصرهم ا تعالى اطمأنوا في ديارهم وعبدوا آمنين مطمئنين لخذلان أعدائهم وتمكينهم من الأرض وهذا كله من آثار الجهاد في سبيله فلو لم يكن لم يحصل ذلك فلهذا قال تعالى : ! 2 2 ! أي : لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة ا تعالى وإظهار دينه ! 2 2 ! حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها وأسباب لا يعلمونها ثم قال تعالى ! 2 2 ! أي : بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن للاعتبار والاستبصار وبيان حقائق الأمور ! 2 2 ! فهذه شهادة من ا لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه ا عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء وأتباعهم وأعدائهم التي لولا خبر ا إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور فدل أنه رسول ا حقا ونبيه صدقا الذي بعثه بالحق ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون | وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب فمنها : أن اجتماع أهل الكلمة والحق والعقد وبحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه ثم العمل به أكبر سبب لإرتقائهم وحصول مقصودهم كما وقع لهؤلاء الملأ حين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم ويلم متفرقهم وتحصل له الطاعة منهم ومنها : أن الحق كلما عورض وأوردت عليه الشبه ازداد وضوحا وتميز وحصل به اليقين التام كما جرى لهؤلاء لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال الشبه والريب | ومنها : أن العلم والرأي : مع القوة المنفذة بهما كمال الولايات وبفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها وضررها | ومنها : أن الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان والاستعانة با والصبر والالتجاء إليه سبب النصر فالأول كما في قولهم لنبيهم ! 2 2 ! فكأنه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا والثاني في قوله : ! 2 2 ! | ومنها : أن من حكمة ا تعالى تمييز الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب والصابر من الجبان وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التمييز | ومنها : أن من رحمته وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين المقاتلين وأنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها ثم قال تعالى : (253) ! 2! 2 يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض بما خصهم من بين سائر الناس بإيحائه وإرسالهم إلى الناس ودعائهم الخلق إلى ا ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة والأفعال السديدة والنفع العام فمنهم من كلمه ا كموسى بن عمران خصه بالكلام ومنهم من

رفعه على سائرهم درجات كنبينا صلى ا عليه وسلم الذي اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره وجمع ا له من المناقب ما فاق به الأولين والآخرين ! 2 2 ! الدالات على نبوته وأنه عبد ا ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ! 2 2 ! أي : بالإيمان واليقين الذي أيده به ا وقواه على ما أمر به وقيل أيده بجبريل عليه السلام يلازمه في أحواله ! 2! 2 الموجبة للاجتماع على الإيمان ! 2 2 ! فكان موجب هذا الاختلاف التفرق والمعاداة والمقاتلة ومع هذا فلو شاء ا بعد هذا الاختلاف ما اقتتلوا فدل ذلك على أن مشيئة ا نافذة غالبة للأسباب وإنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة فإذا وجدت اضمحل كل سبب وزال كل موجب فلهذا قال ! 2 2 ! فإرادته غالبة ومشيئته نافذة وفي هذا ونحوه دلالة على أن ا تعالى لم يزل يفعل ما اقتضته مشيئته وحكمته ومن جملة ما يفعله ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله صلى ا عليه وسلم من الاستواء والنزول والأقوال والأفعال التي يعبرون عنها بالأفعال الاختيارية | فائدة : كما يجب على المكلف معرفته بربه فيجب عليه معرفته برسله ما يجب لهم يمتنع عليهم ويجوز في حقهم ويؤخذ جميع ذلك مما وصفهم ا به في آيات متعددة منها : أنهم رجال لا نساء من أهل